

روح المعاني

وقوله تعالى : منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل كفر ولعل تغيير السبك حيث لم يقل وإن كفرتم عطفا على الشرطية السابقة كما قال شيخ الاسلام لخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال وإسقاط من كفر عن رتبة الخطاب ثم ليس المراد بالكفر إحداثه بعد الايمان بل ما يعم الاستمرار عليه أيضا كأنه قيل : فمن اتصف بالكفر بعد ذلك إلا أنه قصد بايراد ما يدل على الحدوث بيان ترفيتهم في مراتب الكفر فان الاتصاف بشيء بعد ورده ما يوجب الاقلاع عنه وإن كان استمرارا عليه لكن بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فقد ضل سواء السبيل .

12 .

- أى وسط الطريق وحاقه ضلالا لاشبهة فيه ولاعذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك إذ ربما أن يكون له شبهة ويتوهم عذر .

فبما نقضهم ميثاقهم أى بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لابتداء آخر استقلالاً وانضماماً فالباء سببية و ما مزيدة لتوكيد الكلام وتمكينه فى النفس أو بمعنى شيء كما قال أبو البقاء والجار متعلق بقوله تعالى : لعنهم أى طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا عقوبة لهم قاله عطاء وجماعة وعن الحسن ومقاتل أن المعنى مسخناهم قردة وخنازير وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عذبناهم بضرب الجزية عليهم ولا يخفى أن ما قاله عطاء أقرب إلى المعنى الحقيقى لأن حقيقة اللعن فى اللفظ الطرد والابعاد فاستعماله فى المعنيين الأخيرين مجاز باستعماله فى لازم معناه وهو الحقارة بما ذكر لكنه لا قرينة فى الكلام عليه وتخييص البيان بما ذكر مع أن حقه أن يبين بعد بيان تحقق اللعن والنقض بأن يقال مثلا : فنقضوا ميثاقهم فلعنناهم ضرورة تقدم هلية الشيء البسيطة على هليته المركبة كما قال شيخ الاسلام للايدان بأن تحققهما أمر جلى غنى عن البيان وإنما المحتاج إلى ذلك ما بينهما من السببية والمسببية وجعلنا قلوبهم قاسية يابسة غليظة تنبو عن قبول الحق ولاتلين قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما .

وقيل : المراد سلبناهم التوفيق واللفظ الذى تنشرح به صدورهم حتى وان على قلوبهم ما كانوا يكسبون وهذا كما تقول لغيرك : أفسدت سيفك إذا ترك تعاهده حتى صدء وجعلت أظافيرك سلاحك إذا لم يقصها وقال الجبائى : المعنى بينا عن حال قلوبهم وماهى عليه من القساوة وحكمنا بأنهم لا يؤمنون ولاتنفع فيهم موعظة ولا يخفى أنه خلاف الظاهر وما دعا اليه إلا الاعتزال وقرأ حمزة والكسائى قسية وهى إما مبالغة قاسية لكونه على وزن فعيل أو بمعنى ردية من قولهم : درهم قسى إذا كان مغشوشا وهو أيضا من القسوة فأن المغشوش فيه يبس وصلابة وقيل : إن قيس غير عربى بل معرب وقرء قسية بكسر القاف للاتباع يحرفون الكلام عن

مواضعه استئناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه لامرتبة أعظم مما ينشأ عنه الاجتراء على تحريف كلام رب العالمين والافتراء عليه D والتعبير بالمضارع للحكاية واستحضار الصورة للدلالة على التجدد والاستمرار وجوز أن يكون حالا من مفعول لعناهم أو من المضاف اليه فى قلوبهم وضعف بما ضعف وجعله حالا من القلوب أو من ضميره فى قاسية كما قيل لا يصح لعدم العائد منه إلى ذى الحال وجعل القلوب بمعنى أصحابها مما لا يلتفت اليه أصحابها ونسوا حطا أى تركوا نصيبا وافيا واستعمال النسيان بهذا المعنى كثير مما ذكروا به من التوراة : أو مما أمروا به فيها من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم